الاستشراق وتوظيف وحدة الأديان
نموذج كارين أرمسترونغ

د. مسعود بودربالة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

ملخص المداخلة

تعددت أساليب التنصير واصبحت تتغير بتغير الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية ولم تعد تكتفي بالطعن في الإسلام بعد أن انكشفت مخططاتها في المواجهة، مما دفع بالمنصرين إلى تبني أساليب ومناهج جديدة من شأنها أن تلقى قبولا في أوساط المسلمين؛ العامة منهم والمثقفين، وكان مشروع وحدة الأديان من مشاريع التنصير المعاصرة التي لقت اهتماما كبيرا وكان مداه واسعا خاصة عند أهل الفكر، وأصبحت كل الوسائل تستخدم لتحقيق ذلك، ومن ابرزها الدراسات الاستشراقية التي وجهت اتمامها للموضوع، ومن الشخصيات الاستشراقية التي كان مشروع وحدة الأديان بارزا في كتاباتها؛ «كارين أرمسترونغ» (Karen Armstrong)، والتي حاولت بكل السائل البرهنة على أن الإسلام امتداد للديانة المسيحية، وأن اتباع هذه الأخيرة هو اتباع للإسلام، المسألة التاريخية والجغرافية والزمنية لتبرهن على وحدة الديانتين- المسيحية والإسلام.

Orientalism and the Employment of Unity of Religions
-Karen Armstrong model-

There were many methods of Christianization changed as a result of the social, political and intellectual conditions, and they no longer confined themselves to the journey with Islam after their plans were put into conflict. This led to the adoption of new methods and methods that would be acceptable among the Muslims, the public and the intellectuals. The most prominent of which is the Orientalist studies that directed the completion of the subject, and the Orientalist figures, which was the project of the unity of religions prominent in her writings; «Karen Armstrong» which tried to prove that Islam is an extension of Christianity, and that followers of Islam are the followers of Islam, the historical, geographical and temporal issue, to demonstrate the unity of the two religions - Christianity and Islam.

نص المداخلة

الدعوة إلى وحدة الأديان في العصر الحاضر

إن المتتبع للمسار التاريخي الذي افرزته الصراعات الفكرية الحديثة خاصة ما تعلق منها الصراع الحديني، وما تطلب تغيّر أساليب ذلك الصراع يلحظ بوضوح كيف ظهر مشروع حوار الأديان في ثوب جديد على شكل دعوات مشبوهة في فتراتٍ سابقة، لكنها قويت في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، وحتى يوما هذا، وفي ظلِّ النظام العالمي الجديد: جهر الديني الغربي بالدعوة إلى التجمُّع الديني بينهم وبين المسلمين وبعبارة أخرى: «التوحيد بين الموسوية والعيسوية والمحمدية» باسم «الدعوة إلى التقريب بين الأديان»، «التقارب بين الأديان»، ثم باسم «نبذ التعصُّب الديني»، ثم باسم: «الإخاء الديني» وله فُتِحَ مركز بمصر بهذا الاسم، حيث يذكر محمد الباهي بأن «الإخاء الديني جماعة

تمارس نشاطها المشترك بين المسلمين والمسيحيين في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة»[1]، ويشرف على المركز علماء من الأزهر، وآباء من الكنيسة، وباسم: «مجمع الأديان» كما فُتِحَ مركز لذات الغرض بسيناء مصر وباسم: «الصداقة الإسلامية المسيحية»، وباسم: «التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية» ثم أخذوا ينمقون له في كل مرة أسماء شعارات متعددة ليحظى بالقبول عند الناس، ومنها: «وحدة الأديان»، «توحيد الأديان»، «توحيد الأديان الثلاثة»، «الإبراهيمية»، «الملة الإبراهيمية»، «الوحدة الإبراهيمية»، «وحدة الدين الإلهي»، «المؤمنون»، «المؤمنون متَّحدون»، «الناس متَّحدون»، «الديانة العالمية»، «التعايش بين الأديان»، «المِلِّيُّون»،

«العالمية وتوحيد الأديان»[2]

ثم لحقها شعارٌ آخر وهو «وحدة الكتب السماوية»، ثم امتدَّ أثر هذا الشعار إلى فكرة طبع: «القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل»، في غلاف واحد!

ثم دخلت هذه الدعوة في: «الحياة التعبُّدية العملية»، إذ دعا «البابا» إلى إقامة صلاة مشتركة من ممثِّلي الأديان الثلاثة: الإسلاميين والكتابيين وذلك بقرية: «أسيس» في: «إيطاليا»، فأُقيمت فيها بتاريخ: 27/ 10/ 1986م، ثم تكرَّر هذا الحدث مرَّات أخرى باسم: «صلاة روح القدس»، ففي: «اليابان» على قمَّة جبل: «كيتو» أُقيمت هذه الصلاة المشتركة، وكان من الحضور ممثِّل لبعض المؤسسات الإسلاميَّة المرموقة.[3]

ويمكن تقسيم هذا المشروع إلى قسمين:

---

1. محمد الباهي، الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الاسلام ؛ سياسة غير إسلامية. ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1981، ص3

2. بكر أبو زيد، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. ط4. الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، المملكة السعودية. 2011. ص23

3. المرجع نفسه، ص24

القسم الأول : الوحدة الصُّغرى، وهذا خاص بالأديان التي تعلن انتماءها إلى إبراهيم عليه السلام وهي: الإسلام واليهودية والنصرانية؛ ولذلك يُطلِق أصحاب هذا القسم على هذه الأديان (الأديان الإبراهيمية).

وتفرَّع عن هذا القسم من الحوار الدعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامَّة، والدعوة إلى طباعة القُرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلافٍ واحد. **القسم الثاني**: الوحدة الكبرى، وهذا شامل لجميع الأديان والملل الوثنيَّة، بل والملحدين؛ بجامع أنَّ تلكم الوثنيَّات آثار نبوَّات سابقة، وأن الملحدين يؤمنون بالإنسان، وأنَّ للحياة معنى[1] .

سيرة حياة «كارين أرمسترونغ» (Karen Armstrong)

«كارين أرمسترونغ» عالمة الأديان، من الباحثين الغربيين في علم الأديان وأنظمة الاعتقاد، وواحدة ممن حاضروا وكتبوا عن الاسلام.

ايرلندية الأصل، بريطانية المولد والجنسية، أمريكية الإقامة والعمل، ولدت في برمنجهام بانجلترا في 14 نوفمبر 1944م التحقت بجمعية «يسوع الطفل المقدس» للعمل كراهبة لسبع سنوات من سنة 1962م إلى 1996م ضمن نظام تعليمي وتقدمت في عملها كراهبة مبتدئة ليتم ارسالها إلى كلية « سانت آن» في جامعة أكسفورد حيث درست الأدب الانجليزي، تركت كارين ارمسترونغ حياة الرهبنة في الدير معترفة بأنها لم تستطع أن تفي بمطلب حياة الرهبنة والتي كانت قد اختارتها، تلك الحياة التي وصفت ضيقها ومحدوديته الخبرات التي تمنحها، بعد تخرجها بدأت العمل على إنهاء رسالتها للدكتوراه من جامعة أكسفورد واستمرت في عملها حتى درست في جامعة لندن، ولكنها أخفقت في الحصول عليها من قبل ممتحنها الخارجي لتترك المجال الأكاديمي قبل

1. «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»؛ للشيخ بكر أبو زيد، ورسالة بعنوان: «الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه»؛ للشيخ أبي زيد بن محمد مكي.

أن تكمل رسـالتها.

وفي عام 1976م أصبحت «كارين» مدرِّسـة للغة الانجليزية في مدرسة البنـات إلا أن وضعهـا الصحـي لم يسـمح بذلك وحـال بينها وبـين الانتظام في عملها بالتدريس الـذي تركتـه عـام 1981م وبتصدرهـا لمكانـة مميزة في الحيـاة المعرفيـة والأدبية عـبر كتاباتهـا دعتها القنـاة الرابعة في لنـدن 1984م لتعمـل عـلى سلسـلة من الأفـلام التسـجيلية من 6 أجـزاء عن حيـاة وأعمال «سـان بـاول» (Saint Paul) وكانـت تلك نقطـة تحول في حياة «أرمسـترونغ» المعرفيـة عـلي أكثـر من مستوي كان أبرزهـا أن العمل مـن أجل هـذا الفيلم التسـجيلي دفعهـا لأن تعـود مـرة أخري للبحث في شئون الديـن بالرغم من هجرهـا للعبـادات الدينية بعد تركهـا للدير.

دوافع دراستها واهتماماتها بالأديان عامة والإسلام خاصة:

لقـد اطلعـت «أرمسـترونغ» بكثافة على «الأديـان الإبراهيميـة الثلاثة» وهـو أمـر كانـت قـد بدأتـه خـلال السـنوات السـبع التـي قضتهـا في حيـاة الرهبانيـة والتـي ضمـت سـنوات دراسـتها في أكسـفورد، ولم يقـف أثـر تجربـة الفيلـم التسـجيلي عنـد هـذا الحـد إذ أن هـذا التكليـف اسـتلزم سـفر «أرمسـترونغ» إلى القـدس عـدة مـرات وهنـاك بـدأت في الملاحظـة وطـرح الأسـئلة عـلى مـن تعمـل في أوسـاطهم.

كانـت زيارتهـا الأولى إلى «إسرائيـل» أثناء غزو لبنـان في 1982 ووقوع مذبحـة «صبرا وشـاتيلا» أمـا زيارتهـا الثانيـة فجاءت أثنـاء الانتفاضـة الفلسـطينية.

وكنتيجـة لزيارتهـا للقـدس واجهـت أرمسـترونغ حالـة جـادة مـن التسـاؤل الأرق: «لقـد أقلقنـي أن وعيـا جديـدا بـدأ يقـوض مـا خبرتـه ونشـأت عليـه مـن ثقافـة غربية متسـقة ونظـام قيمي ارتبـط بتلـك الثقافة»، وتضيـف: «إننـا نقـدم مجتمعنـا كمجتمـع متسـامح ورحيـم ومع ذلـك فإننا

نصدر أحكاما من مواقع شديدة الجهل وتخلو من العقلانية»[1].

كانت هذه هي الفترة التي بدأت خلالها «أرمسترونغ» في اقتفاء أثر ما وصفته بالحكمة الجديدة لتعيد البحث في مسائل اليهودية والمسيحية والإسلام، وحتى إلى هذا الوقت كانت مصادر «أرمسترونغ» الروحية والفكرية هي تعاليم الكنيسة والروافد التقليدية للإعلام والأكاديمية الغربية وقد أشارت «أرمسترونغ» أن جميعها تعرض المسيحية واليهودية في ضوء أفضل بينما تعطي صورا سلبية لكل ما يتعلق بما هو عربي أو إسلامي، وأن تلك الأحقاد ترجع أساسا إلى مفاهيم مغلوطة للتفريق بين الغرب والإسلام فالإسلام دين التسامح ومحمد «النموذج الإنساني الكامل»، كما وصفته الإنسان البسيط المتواضع الذي آمن برسالته وأخلص لها متبعا الحق. هنا قدمت «أرمسترونغ» صورة غير نمطية عن الإسلام بجوهره.

آثارها:

إن ما يميز أسلوب «كارين أرمسترونغ» هو ذلك الهدوء والنبرة الدافئة وإظهار نوع من الموضوعية الحيادية في مناقشة الموضوعات التاريخية، حيث طرحت افكارها بكل شجاعة وحرية غير مبالية بكل الاتهامات الموجهة إليها وخاصة من المنظمات الصهيونية في أمريكا وخاصة إزاء الصراع العربي الإسرائيلي عبر العديد من الكتب والدراسات والمقالات الهامة والشيقة المنشورة في الجرائد والمجلات والتي نجد منها:

* من الباب الضيق (1982)
* المسيحي الأول: تأثير القديس بولس على المسيحية (1983)
* بدأ العالم (1983)
* ألسنة النار: مختارات من الخبرة الدينية والشعرية (1985)

1. هذه مقتطفات من مقدمتها لكتابها: سيرة النبي محمد

* الحرب المقدسة : الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم (1988)
ويعتبر هذا الكتاب أشهر كتبها Muhammad: A Prophet for Our Time.

* محمد سيرة النبي (1991) الذي نشر إبان موجة الكراهية والعداء للمسلمين والإسلام بعد نشر كتاب «سلمان رشدي» «آيات شيطانية» من خلال رد فعل المسلمين وترحيب الغرب بهذا الكتاب وذلك من خلال إثبات أن القطيعة بين الإسلام والغرب سببها الهيمنة الغربية على الشعوب والأفراد .

* نهاية الصمت «المرأة والكهنوت» (1993)

* تاريخ الإله: أربعة آلاف عام من البحث «اليهودية، المسيحية، الإسلام» (History of God) (1993)

* القدس: مدينة واحدة وثلاثة أديان (1996) (Jerusalem: One City, Three Faiths)

* الإيمان بعد 11 سبتمبر (2002)

* لمحة تاريخية عن موجز الأسطورة (2005)

* محمد نبي لزماننا (2006)

* الكتاب المقدس : تاريخ موجز (2007)

المقالات:

* المرأة والسياحة والسياسة (1997)

* قداسة القدس: الأصول أو العبء (1998)

* الغموض والذكرى: الذاكرة الفردية والجماعية في فنلندا (2000)

كارين أرمسترونغ وتوظيف وحدة الأديان:

كيف وظفت وحدة الأديان للدفاع عن المسيحية و إيهام الناس بأن النبي ﷺ كان يدعو إلى المسيحية في ثوب جديد لإحيائها كون دعوة الاسلام جددت

دعوة المسيحية بأسلوب ومنهج جديد، وإثبات مدى صدق وصحة المسيحية وأنها دين سماوي لم يتعرض للتحريف والتبديل ومن يأخذ به كمن يأخذ بالاسلام، من أجل ذلك كان من الضروري التطرق إلى نماذج من مؤلفاتها، لكن سأكتفي في هذا المقام بكتاب واحد.

كتاب «الله والانسان»[1]

في الفصل الخامس « الوحدة إله الإسلام»

ابتداء من الصفحات 145 و146 نموذجا لتصورها كيفية انتقال النبوة من عيسى إلى محمد ﷺ وما جاء به ذاته ما جاء به عيسى وأن الثالوث المسيحي توحد في الإسلام وأن هذا الأخير امتداد للسابق ولذلك نبينا مدح أهل الحبشة لأن ما جاء به امتداد لما سبقه.

تروي قصة حياة النبي ﷺ بطريقة موجَّهة بحيث أشارت إلى فترة صباه بأنه كان تاجرا ولم يتسن له قراءة الإنجيل أبدأ، ومن المستبعد أنه لم يقرأ العهد القديم لذلك لم يكن قد سمع لا بأشعيا ولا بإرميا ولا بحزقيال، ولا بغيرهم، لكنه مر بنفس التجارب الخرقة التي مروا وهي تمهد من خلال لما تريد استنتاجه فيما بعد، وقد كان يمضي فترات من العزلة الروحية ومع أهله في غار حِراء لأنها عادة كانت منتشرة في جزيرة العرب ، مصليا لله القدير إله العرب، فكان يمضي وقته هناك في تفكير قلق، مركزا في خلوته على التأمل، وهو ما اكسبه عبقرية استثنائية مكنته من يرتقي إلى مصاف الأنبياء المصلحين، فتمكن من جمع القبائل في الجزيرة العربية في أمة واحدة، وأسس لهم دينا روحانيا يتناسب مع تراثهم، فأسس إمبراطوريته العظيمة لم يكن حتى يتصورها لم كان في غار حواء[2]، وعلى شاكلة الكثير من العرب يومها كان «محمد يؤمن أن

1. كارين آرمسترونغ، الله والإنسان – على امتداد 4000 سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر. ترجمة: محمد الجورا. درا الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. 1996
2. كارين أرمسترونغ، الله والإنسان. ص145

الله الإلـه الكبـير في مجمـع الآلهـة العربيـى القديمـة كان مماثلا لله الـذي عبده اليهـود والمسـيحيون»[1]، حيـث أن مـا جاء بـه لا يختلف عـما يؤمن بـه اليهود والمسـيحيون؛ فهـو امتـداد لدينهم.

حاولـت هنـا أن تعطـي صـورة للنبـي محمـد ﷺ لا تختلـف عـن صورة الرسـول بولـس في الفكـر المسـيحي، لذلـك تـرى أن النبـي محمـدا ﷺ كان يعتقـد أن قيـادة الأمـة تحتـاج إلى نبـي مرسـلا مـن الله تكـون له القـدرة على قيادتهـا، ويحـل مشـاكلها. وبـدأ يتخيـل في شـخصية مـن تكـون لـه هـذه المؤهـلات ليتمكـن مـن اخـراج أهـل جزيـرة العـرب إلى العالمية مثـل اتباع يسـوع المسيح.

ومـن أجـل أن يسـوي الله بـين العـرب أمـة محمـد وباقي الأمـم خاصة بنـي اسرائيـل كونهم لم يخصهـم لا بنبي ولا رسـول ولا كتـاب مقدس، رغم أنهـم يمتلكـون مؤهلات ذلك وعـلى رأسـها امتلاكهم صومعة لـه (الكعبة) قائمـة في وسـطهم وهـي أساسـا مكرسـة لله مـن عصـور قديمـة، وهـو مـا جعلهـم يشـعرون بعدم الرضـا رغـم أن الوضـع العام مهيأ لاسـتقبال رسـالة الله رغـم وجود آلهـة عديد في الكعبـة (الأصنام)، وكانت قريـش تدرك قيمة الكعبـة وأن نجاحاتهـم خاصة الاقتصاديـة ما كانت لتتحقق لـولا وجودها، وامتيازاتهـم بـين القبائـل مـا كان ليعانـد لولاهـا، «مـع أن الله خـص وبـكل وضـوح قريشـا بمحبتـه الخاصـة إلا أنـه لم يكـن قـد ارسـل لهم رسـولا مثل إبراهيم أو موسـى أو يسـوع...»[2].

واعتـبرت الكاتبـة أن سـبب كراهيـة العرب لليهـود والمسـيحيين تعود إلى شـعورهم بالدونيـة الروحيـة أمـام هؤلاء لأنهـم لم يحظوا بوحـي من الله، وأنهـم لا يحـوزون معرفـة روحيـة كنظرائهم مـن اليهود والمسـيحيين[3].

وهـذا ما دفع ببعض العرب إلى محاولة اكتشـاف شـكل الوحدانية أكثر

1. كارين أرمسترونغ، الله والإنسان. ص146
2. نفسه.
3. المرجع نفسه، ص147

حيادية ولا ترتبط بالقوى السياسية البيزانطية ولا بالقوى الدينية اليهودية والمسيحية، وقد استندت في ذلك إلى ما ذكره المؤرخ المسيحي الفلسطيني «سوزومينوس» بقولها نقلا عنه: «أن بعض العرب في سوريا اكتشفوا ما أسموه دين ابراهيم الحنيف الذي عاش قبل أن يُنزل الله التوراة أو الإنجيل، وبالتالي لم يكن يهوديا ولا مسيحيا»[1].

ثم انتقلت بعد ذلك للبحث عن مبررات ما ذهب إليه هذا المؤرخ فاستدلت على ذلك بما ورد في سيرة ابن هشام « أن أربعة من قريشيي مكة قد قرروا اتباع الحنفية دين ابراهيم الحق، وكان المسلمون الأوائل يعرفون ثلاثة من هؤلاء الأحناف الأربعة وهم: عبير الله بن جحش (ابن عمة محمد)، و ورقة بن نوفل الذي اصبح مسيحيا في النهاية (أحد مستشاري محمد الروحيين)، وزيد بن عمر خال عمر بن الخطاب (أحد المقربين من محمد والذي اصبح الخليفة الثاني للإمبراطورية الإسلامية)...»[2]

فترى الكاتبة أن النبي محمدا ﷺ لم يكن في بداية دعوته يصدق أن ما يأتي وحي من السماء بل هو بقايا حنفية إبراهيم، ولم يكن واثقا مما يتلقاه لذلك كان يلجأ إلى ورقة بن نوفل «عندما بدأ محمد الدعة في مكة لم تكن لديه سوى تصور متواضع عن دوره، لم يكن يصدق أنه يؤسس دينا كونيا جديدا، بل كان يرى نفسه جالبا الدين القديم، دين الله الواحد لقريش، في البداية لم يخطر له حتى أن يدعو القبائل العربية الأخرى بل كانت دعوته موجهة إلى المكيين وإلى من هم في جوارهم، فلم تكن له أحلام تأسيس ثيوقراطية، ومن المحتمل أنهم يكن يفهم ما تعنيه هذه الكلمة: يجب أن لا تكون له شخصيا وظيفة سياسية في المدينة، بل هو مجرد نذيرها، ولم يكن على محمد أن يثبت لقريش وجود الله، فهم جميعا يؤمنون ضمنيا بالله الذي خلق السموات والأرض، وكان يعتقد معظمهم أنه كان الله الذي عبده اليهود والمسيحيون، وهكذا الإيمان بوجود الله أمرا

1. كارين أرمسترونغ، الله والإنسان، ص147
2. نفسه.

بديهيا»[1].

ثم انتقلت إن فحوى القرآن وما يحتويه من أحكام، حيث أشارت إلى أنه لم يكن يعلم القرشيين أي شيء جديد، وفي ذلك إشارة منها إلى أنه يحمل ما كان في الديانتين اليهودية والمسيحية «فهو يذكر باستمرار بأشياء معروفة مسبقا يطرحها بأريحية واضحة، فكثيرا ما يسهل القرآن موضوعا بعبارة مثل – ألم تر..؟- ألم تعتبروا..؟- لم تكن كلمة الله تصدر أوامر اعتباطية من أعلى بل كانت تدخل في حوار مع القرويين، فهي تُذكرهم أن ينظروا إلى آيات نعمة الله وقدرته في العالم الطبيعي، فجعل محمد أصحابه ينحنون في صلاة طقسية مرتين في اليوم، فهذا المظهر الخارجي سيساعد المسلمين على تنمية موقف داخلي»[2].

بعد أن خلُصت من أمر المصدارية وأن أصل ما جاء به محمد ﷺ أخذه ممن سابقوه من الأديان كونها في الأصل ملة واحدة (ملة إبراهيم) فقط الذي تغير فهو البيئة التي اختارها الله ليحدث تكافؤ، ويكرم عرب قريش في مكة بدينه، انتقل إلى جانب مهم في الرسالات السماوية؛ والأمر يتعلق برسول الوحي جبريل عليه السلام، حيث أفظت عليه مجموع الصفات التي نالها في المسيحية أهلته ليكون أحد الأقطاب في تلك الديانة، «جبريل في الإسلام هو النظير للروح القدس في الوحي، أي الوسيلة التي يتصل بها الله مع الناس، فجبريل لم يكن مجرد ملاك عادي بل حضور غامر كلي الوجود ولا سبيل إلى الهرب منه، كان في محمد ذلك الخوف المتعاظم من الحضور المقدس الذي أسماه الأنبياء العبرانيون (قدوس) الأخروية الإلهية المخيفة، لقد شعر هؤلاء الأنبياء أنهم مشرفون على الموت، لكن محمدا لم يكن مثل أشعيا أو إرميا لأنه لم يكن لديه عزاءات من تراث راسخ كي تدعمه، بدت التجربة مرعبة بعد أن هبطت عليه»[3].

1. كارين أرمسترونغ، الله والإنسان، ص151
2. المرجع نفسه، ص152
3. المرجع نفسه، ص149

ثم حاولت الكاتبة الربط بين الحادثة ومن كان عارفا بها، من خلال اتصال خديجة بخالها ورقة بن نوفل «لم يكن تصرف الله عشوائيا، فقد اقترحت خديجة على محمد أن يستشير خالها ورقة بن نوفل الذي أبح مسيحيا وعارفا بالكتب المقدسة، لم يكن لدى ورقة شك على الاطلاق غي أن محمدا قد تلقى الوحي من رب موسى والأنبياء، وأنه قد أصبح المبعوث الإلهي إلى العرب، وبعد سبع سنوات كان محمد قد اقتنع بحالته»[1].

وفي سياق حديثها عن أثر القرآن في نفوس قريش وما خلفه من الحيرة والرهبة فيهم عند سماعهم للقرآن يتلى عليهم «... فقد الم الكثيرون فورا، لاعتقادهم أن الله وحده هو القادر على صياغة هذا الجمال اللغوي الخارق في القرآن، وغالبا ما كان يصف المسلم هذه التجربة على أنها اقتحام إلهي فَصَدَ حنيناً دفيناً وأطلق فيضاً من المشاعر، الفتى القرشي عمر بن الخطاب الذي كان خصما عنيدا لمحمد، كان قد نذر نفسه إلى الوثنية القديمة، وكان على استعداد لاغتيال النبي، لكن اعتنق الإسلام لا برؤيا يسوع الكلمة بل بسماعه القرآن»[2].

ثم حاولت أن تجد الرابط الذي تشكل به التوال والاستمرارية لرسالة السماء بين بين المسيحية والإسلام، فأوردت ما تسميه المصادر القديمة أن « مكة بدت وكأنها كانت ستقبل دين الله المعدّل الذي جاء به محمد، بينما بقي أفراد المؤسسة الأكثر غنىً متحفظين على فهم الحالة، ولم تحدث قطيعة رسمية مع قريش حتى منع محمد المسلمين من عبادة الآلهة الوثنية، وكما يبدو فإن محمدا في السنوات الثلث الأولى من رسالته لم يؤكد على المضمون الوحداني لرالته، وربما تخيل النا أن بإمكانهم الاستمرار في عبادة ألهتهم التقليدية إلى جانب عبادة الله كما كاموا يفعلون دائما، لكن عندما أدان محمد هذه العبادات القديمة على أنها وثنية خسر معظم اتباعه

1. كارين أرمسترونغ، الله والإنسان، ص149
2. المرجع نفسه، ص154

في ليلة واحدة، وبذلك اصبح المسلمون أقلية مضطهدة، ومكروهة، فكما رأينا من قبل يتطلب الإيمان بإله واحد فقط تحولا مؤلما في الوعي وكحالة المسيحيين الأولى..»[1].

ثم تعلنها راحة أن الذي جاء به محمد ﷺ هو امتدادا لما جاء به من قبله من الأنبياء موسى وعيسى وأن من اتبع أي دين من هذه الأديان فهو على أمر الله ولكل دينه وطريقته الخاصة «.. عندما اعترف ورقة بن نوفل بمحمد نبياً حقاً لم يتوقع لا هو ولا محمد أن يعتنق الإسلام، ومحمد لم يطلب من اليهود أو المسيحيين اعتناق دينه إلا إذا رغبوا بذلك، لأنهم قد تلقوا وحياً خاصاً بهم، وبالتالي لم ير القرآن الوحي لاغياً لرسالات ورؤى أنبياء سابقين، بل أكد على استمرارية تجربة البشر الدينية، إنه لمن الأهمية بمكان أن نشدد على أهمية هذه النقطة لأن الغربيين اليوم يشعرون أنهم ميالون إلى اتهام الإسلام بعدم التسامح فمنذ البداية رأى المسلمون الوحي في شروط استثنائية أقل مما رأه فيها اليهود أو المسيحيون»[2].

ثم ذهب تبيّن أن القرآن قبل الفكر الديني السابق بل اعتبره صحيحا يتمشى ومعتقدات من أمنوا به، ولا يعتبرها محرفة ولا باطلة «... إن القرآن لا يدين التراثات الدينية الأخرى بدعوى أنها زائفة أو ناقصة، بل يُبيّن أن كل نبي يستمر ويؤكد على رؤى هذا المنهج، القرآن يبين أن الله قد أرسل رسلا إلى كل أمة على وجه الأرض، وهكذا نرى القرآن يوضح مرارا أنه لا يجلب رسالة جديدة كليا، وعلى المسلمين أن يؤكدوا على صلتهم بالأديان الأقدم من الإسلام»[3].

1. كارين أرمسترونغ، الله والإنسان ص 156
2. المرجع نفسه، ص 160
3. المرجع نفسه، ص161

نتائج البحث

نخلص مما سبق ذكره أن الكاتبة من خلال كتابها هذا «الله والإنسان» وحتى في باقي مؤلفاتها أرادت إنشاء رابط تتبعي يربط الإسلام بالأديان السابقة وخاصة الديانة المسيحية، وقد وظفت كل ما من شأنه أن يعزز رأيها بشأن وحدة الأديان، حيث ركزت بالخصوص على المسألة التاريخية والجغرافية والزمنية لتبرهن على وحدة الديانتين -المسيحية والإسلام- وأرادت أن تستدل على صحة التعايش بين المسيحيين والمسلمين فيها وكذا العداء الذي يكنه اليهود لأتباع الديانتين من خلال ما عايشته ميدانيا لما مكثت في القدس ما يقارب ست سنوات.

كما حاولت جاهدة أن تبرهن أن المسيحية عاودت الانبعاث في الاسلام وأن دليل صحة رأيها في ما ذهبت إليه موجود في نصوص الإسلام، وكذا في الأحداث التاريخية التي تراها تؤكد ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- بكر أبو زيد، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. ط4. الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، المملكة السعودية. 2011.
- كارين أرمسترونغ، سيرة النبي محمد. ترجمة فاطمة ناصر ومحمد عناني. ط2. دار اللواء، القاهرة، مصر. 1998
- كارين أرمسترونغ، الله والإنسان على امتداد 4000 سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر. ترجمة: محمد الجورا. دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. 1996
- محمد الباهي، الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام - سياسة غير إسلامية. ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر. 1981.